عبد الله بن عباس رضي الله عنه

اسمه ونسبه:

هو حبر الأمة، وفقيه العصر، وإمام التفسير، وترجمان القرآن، عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، القرشي، الهاشمي، أبو العباس، ابن عم رسول الله ﷺ، أمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية.

ولد وبنو هاشم بالشعب قبل الهجرة بثلاث، وقيل: بخمس، والأول أثبت.

وقال الواقدي: لا خلاف عند أئمتنا أنه ولد بالشعب حين حصرت قريش بني هاشم، وإنه كان له عند موت النبي ﷺ ثلاث عشرة سنة[1].

مولده وتحنيكه:

عن ابن عباس قال: لما كان رسول الله ﷺ في الشِّعب[2]، جاء أبي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، أرى أم الفضل قد اشتملت على حمل، فقال: «**لعل الله أن يقر أعينكم**»، قال: فأتى بي رسول الله ﷺ، وأنا في خرقة فحنكني بريقه.

---

(١) الإصابة في تعيين الصحابة لابن حجر العسقلاني، ٤/ ٢٤٢، سير أعلام النبلاء للذهبي، ٣/ ٣٣١.

(٢) الشِّعب: بالكسر الطريق، وقيل الطريق في الجبل والجمع شعاب. المصباح المنير، ١/ ٣١٣.

قال مجاهد: فلا نعلم أحداً حنكه رسول الله ﷺ بريقه غيره.

وفي رواية أخرى: فقال رسول الله ﷺ: «**لعل الله أن يبيِّض وجوهنا بغلام فولدت عبد الله بن عباس**»[١].

صفاته الخَلقية:

كان ابن عباس جسيماً إذا قعد يأخذ مكان رجلين، جميلاً له وفرة[٢]، قد شاب مقدم رأسه، وشابت لمته[٣]، وكان يخضب بالحناء، وقيل: بالسواد، حسن الوجه، يلبس حسناً ويكثر من الطيب، بحيث إنه كان إذا مر في الطريق تقول النساء: هذا ابن عباس أو رجل معه مسك، وكان وسيماً أبيض، طويلاً، صبيحاً، فصيحاً، ولما عمي اعترى لونه صفرة يسيرة.

وقد كان بنو العباس عشرة وهم: الفضل، وعبد الله، وعبيد الله، ومعبد، وقثم، وعبد الرحمن، وكثير، والحارث، وعون، وتَمَّام، وكان أصغرهم تمام; ولهذا كان العباس يحمله ويقول:

تموا بتمَّامٍ فصاروا عشره يا رب فاجعلهم كراماً بَرره
واجعل لهم ذكراً وأنم الثمره[٤]

قال ابن جريج: كنا جلوساً مع عطاء في المسجد الحرام، فتذاكرنا ابن عباس؛ فقال عطاء: ما رأيت القمر ليلة أربع عشرة إلا ذكرت وجه ابن

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير، ٢/ ٧٩.
(٢) الوفرة: الشعر المجتمع على الرأس. تاج العروس، ١٤/ ٣٣٧.
(٣) اللَّمَّةُ: شَعرُ الرَّأْسِ المجاوزُ شحمةَ الأُذن. تاج العروس، ٣٣/ ٤٣٨.
(٤) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٤/ ٢٣٥، البداية والنهاية لابن كثير، ١٢/ ١١١.

عباس. كان ابن عباس إذا مر في الطريق، قلن النساء على الحيطان: أمرَّ المسك، أم مر ابن عباس؟!(١).

وروى أبو الحسن المدائني عن سحيم بن حفص عن أبي بكرة قال: قدم علينا ابن عباس البصرة وما في العرب مثله جسماً وعلماً وثياباً وجمالاً وكمالاً.

وقال مسروق: كنت إذا رأيت ابن عباس قلت: أجمل الناس. فإذا نطق قلت: أفصح الناس. فإذا تحدث قلت: أعلم الناس(٢).

من ألقابه: الحَبر والبحر:

كان يقال له: حبر العرب، ويقال: إن الذي لقبه بذلك: جرجير ملك المغرب، وكان قد غزا مع عبد الله بن أبي سرح إفريقية، فتكلم مع جرجير فقال له: ما ينبغي إلا أن تكون حبر العرب.

وعن محمد بن أبي بن كعب عن أبيه أنه سمعه يقول وكان عنده ابن عباس فقام، قال: هذا يكون حبر هذه الأمة، أوتي عقلاً وجسماً، ودعا له رسول الله ﷺ أن يفقهه في الدين(٣).

وعن جابر بن زيد قال: سألت البحر عن لحوم الحمر، وكان يسمى ابن عباس البحر. الحديث وأصله في البخاري.

ونقل الأعمش عن مجاهد: كان ابن عباس يسمى البحر لكثرة علمه(٤).

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٣/ ٣٣٣.

(٢) المنتقى من كتاب الطبقات للجزري الحراني، ١/ ١٤٨، الإصابة في تعيين الصحابة لابن حجر العسقلاني، ٤/ ١٤٥.

(٣) الإصابة في تعيين الصحابة لابن حجر العسقلاني، ٤/ ٢٤٢.

(٤) المنتقى من كتاب الطبقات للجزري الحراني، ١/ ١٤٧، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، ٥/ ١١٦، الإصابة في تعيين الصحابة لابن حجر العسقلاني، ٤/ ١٤٥.

مَلَكَ المجد من أطرافه:

ملك ابن عباس المجد من أطرافه فما فاته منه شيء: فقد اجتمع له مجد الصحبة، ولو تأخر ميلاده قليلاً لما شرف بصحبة رسول الله ﷺ.

ومجد القرابة؛ فهو ابن عم النبي ﷺ.

ومجد العلم؛ فهو حبر أمة محمد، وبحر علمها الزاخر، وأعلمها بكتاب الله، وأفقهها بتأويله، وأقدرها على النفوذ إلى أغواره، وإدراك مراميه وأسراره.

ومجد التقى؛ فقد كان صواماً بالنهار قواماً بالليل، مستغفراً بالأسحار، بكَّاءً من خشية الله، حتى خدد الدمع على خديه[١].

ابن عباس يفوز بدعاء النبي ﷺ:

ـ يقول ابن عباس: إن النبي ﷺ دخل الخلاء، فوضعت له وَضوءاً، قال: من وضع هذا؟ فأُخبر، فقال: اللهم فقهه في الدين[٢].

ـ وعن ابن عباس قال: ضمَّني رسول الله ﷺ وقال: «**اللهم علمه الكتاب**»[٣].

ـ وقال: ضمني النبي ﷺ إلى صدره، وقال: «**اللهم علمه الحكمة**»[٤].

ـ وقال: كنت في بيت ميمونة بنت الحارث، فوضعت لرسول الله ﷺ

---

(١) صور من حياة الصحابة د. عبد الرحمن رأفت باشا، ص١٧٤.
(٢) صحيح البخاري، باب وضع الماء عند الخلاء، ١٤٠.
(٣) صحيح البخاري، باب قول النبي ﷺ اللهم علمه الكتاب، ٧٣.
(٤) صحيح البخاري، باب ذكر ابن عباس رضي الله عنهما، ٧٣٣٤.

طَهوراً، فقال: من وضع هذا؟ قالت ميمونة: عبد الله، فقال ﷺ: «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**»(١).

وعن ابن عمر: أنه كان يقرب ابن عباس ويقول: إني رأيت رسول الله ﷺ دعاك فمسح رأسك وتفل في فيك وقال: «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**».

وعن ابن عباس قال: دعاني رسول الله ﷺ، فمسح على ناصيتي، وقال: «**اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب**»(٢).

ابن عباس ينال بركة النبي ﷺ:

ـ قال ابن عباس: شرب النبي ﷺ، وابن عباس عن يمينه، وخالد بن الوليد عن شماله، فقال له النبي ﷺ: «**الشربة لك، وإن شئت آثرت بها خالداً**»، قال: ما أوثر على رسول الله ﷺ أحداً(٣).

ـ وعن ابن عباس قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال: «**يا غلام، إني أعلِّمُكَ كلماتٍ؛ احفظِ اللهَ يحفظْك، احفظِ اللهَ تجدْه تجاهَك، إذا سألت فاسألِ الله، وإذا استعنتَ فاستعنْ بالله، واعلمْ أن الأمةَ لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**»(٤).

---

(١) صحيح ابن حبان، باب ذكر وصف الفقه والحكمة اللذين دعا المصطفى ﷺ لابن عباس بهما، ٧١٨٠.

(٢) الإصابة في تعيين الصحابة لابن حجر العسقلاني، ٤/ ٢٤٣.

(٣) مسند أحمد، ١٨٠٥.

(٤) سنن الترمذي، قال هذا حديث حسن صحيح، ٢٤٤٤.

أهم صفاته:

ـ عبادته وحياؤه:

قال ابن أبي مليكة: صحبت ابن عباس من مكة إلى المدينة، فكان إذا نزل، قام شطر الليل، فسأله أيوب: كيف كانت قراءته؟

قال: قرأ: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [قَ: ١٩]، فجعل يرتل، ويكثر في ذلك النشيج[(١)].

وعن أبي رجاء، قال: رأيت ابن عباس، وأسفل من عينيه مثل الشراك[(٢)] البالي من البكاء[(٣)].

سئل ابن عباس: كيف صومك؟ قال: أصوم الإثنين والخميس. قيل: ولم؟ قال: لأن الأعمال ترفع فيهما، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم[(٤)].

عن ابن عباس: أنه لم يكن يدخل الحمام إلا وحده، وعليه ثوب صفيق، يقول: إني أستحيي من الله أن يراني في الحمام متجرداً[(٥)].

ـ كرمه:

قطع ابن عباس رضي الله عنه بالكرم شوطاً بعيد المنال فبلغ من كرمه مبلغاً جعله يخرج من ماله كله.

يقول حبيب بن أبي ثابت: إن أبا أيوب الأنصاري أتى معاوية، فشكا ديناً، فلم ير منه ما يحب، فقدم البصرة، فنزل على ابن عباس، ففرغ له

---

(١) الحلية لأبي نعيم، ١/ ٣٢٧، سير أعلام النبلاء للذهبي، ٣/ ٣٤٢.

(٢) شِرَاكُ النَّعْلِ: سَيْرُهَا الَّذِي عَلَى ظَهْرِ الْقَدَمِ، وَشَرَّكْتُهَا بِالتَّثْقِيلِ جَعَلْتُ لَهَا شِرَاكًا، المصباح المنير، ١/ ٣١١.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٣/ ٣٥٢.

(٤) البداية والنهاية لابن كثير، ١٢/ ١٠٢.

(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٣/ ٣٥٥.

بيته، وقال: لأصنعن بك كما صنعت برسول الله ﷺ. ثم قال: كم دينك؟ قال: عشرون ألفاً. فأعطاه أربعين ألفاً، وعشرين مملوكاً، وكل ما في البيت[١].

وقال عطاء: ما رأيت مجلساً قط أكرم من مجلس ابن عباس أكثر فقهاً، وأعظم جفنة[٢].

ابن عباس يحظى برؤية جبريل عليه السلام:

عن ابن عباس قال: كنت مع أبي عند النبي ﷺ وكان كالمُعرض عن أبي، فخرجنا من عنده، فقال: ألم تر ابن عمك كالمعرض عني؟ فقلت: إنه كان عنده رجل يناجيه. قال: أو كان عنده أحد؟ قلت: نعم. فرجع إليه، فقال: يا رسول الله، هل كان عندك أحد؟ فقال لي: «**هل رأيته يا عبد الله؟**» قال: نعم. قال: «**ذاك جبريل، فهو الذي شغلني عنك**»[٣].

عبد الله بن عباس يبيت ليلة في بيت النبي ﷺ:

عن علي بن عبد الله بن عباس، عن أبيه قال: أمرني العباس رضي الله عنه قال: بِتْ بآل رسول الله ﷺ ليلة، فانطلقت إلى المسجد، فصلى رسول الله ﷺ العشاء الآخرة حتى لم يبق في المسجد أحد غيره. قال: ثم مر بي فقال: «**من هذا؟**»

فقلت: عبد الله.

قال: «**فمه؟**»

---

(١) سير أعلام النبلاء، ٣/ ٣٥٢.

(٢) المعرفة والتاريخ، ١/ ٥٢٠.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير، ١٢/ ٨٤، حلية أبي نعيم، ١/ ٣١٤، سير أعلام النبلاء للذهبي، ٣/ ٣٨٣.

قلت: أمرني أبي أن أبيت بكم الليلة.

قال: «**فالْحِقْ**».

فلما دخل قال: «**افرشوا لعبد الله**»، قال: فأتيت بوسادة من مسوح، قال: وتقدم إليَّ العباس أن لا تنامَنَّ حتى تحفظ صلاته، قال: فقدم رسول الله ﷺ فنام حتى سمعت غطيطه.

قال: ثم استوى على فراشه، فرفع رأسه إلى السماء فقال: «**سبحان الملك القدوس**» ثلاث مرات، ثم تلا هذه الآية من آخر سورة آل عمران حتى ختمها ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، ثم قام فبال، ثم استنَّ بسواكه، ثم توضأ، ثم دخل مصلاه فصلى ركعتين ليستا بقصيرتين ولا طويلتين.

قال: فصلى ثم أوتر، فلما قضى صلاته سمعته يقول: «**اللهم اجعل في بصري نوراً، واجعل في سمعي نوراً، واجعل في لساني نوراً، واجعل في قلبي نوراً، واجعل عن يميني نوراً، واجعل عن شمالي نوراً، واجعل أمامي نوراً، واجعل من خلفي نوراً، واجعل من فوقي نوراً، واجعل من أسفل مني نوراً، واجعل لي يوم القيامة نوراً، وأعظم لي نوراً**»[(١)].

أدب ابن عباس مع النبي ﷺ ومع العلماء:

لقد درج ابن عباس في أحضان النبوة فاستقى الأدب والأخلاق إلى جانب العلم، وهذان الموقفان يجسدان لنا هذا المعنى:

يقول ابن عباس: صليت خلف رسول الله ﷺ فأخذ بيدي فجرني حتى جعلني حذاءه، فلما أقبل على صلاته خنست[(٢)]، فلما انصرف قال لي:

---

(١) الحاكم، ٣/ ٥٣٦.

(٢) خَنَسَ عنه يَخْنُسُ بالضم، أي تأخَّر. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ٣/ ٩٢٥.

«**ما شأنك؟**» فقلت: يا رسول الله أو ينبغي لأحد أن يصلي حذاءك وأنت رسول الله!؟، فدعا لي أن يزيدني الله علماً وفهماً[١].

عن الشعبي قال: ركب زيد بن ثابت فأخذ ابن عباس بركابه، فقال: لا تفعل يا بن عم رسول الله، فقال: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا، فقبل زيد بن ثابت يده، وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا[٢].

تربية النبي ﷺ لابن عباس:

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: أُهدي إلى النبي ﷺ بغلة، أهداها له كسرى، فركبها بحبل من شعر ثم أردفني خلفه، ثم سار بي ملياً، ثم التفت فقال: «**يا غلام**» قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، قد مضى القلم بما هو كائن، فلو جهد الناس أن ينفعوك بما لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه، ولو جهد الناس أن يضروك بما لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه، فإن استطعت أن تعمل بالصبر مع اليقين فافعل، فإن لم تستطع فاصبر؛ فإن في الصبر على ما تكرهه خيراً كثيراً، واعلم أن مع الصبر النصر، واعلم أن مع الكرب الفرج، واعلم أن مع العسر اليسر**»[٣].

ابن عباس يطلب العلم:

صحب ابن عباس النبي ﷺ، ولزمه وأخذ عنه وحفظ، وضبط الأقوال

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير، ١٢/ ٨٢، الإصابة في تعيين الصحابة لابن حجر العسقلاني، ٤/ ٢٤٣.

(٢) الإصابة في تعيين الصحابة لابن حجر العسقلاني، ٤/ ١٤٤، البداية والنهاية لابن كثير، ١٢/ ٨٤.

(٣) سنن الترمذي، ٤/ ٦٦٧، المستدرك، ٣/ ٥٤١.

والأفعال والأحوال، وأخذ عن الصحابة علماً عظيماً مع الفهم الثاقب والبلاغة والفصاحة والجمال والملاحة والأصالة والبيان، ودعا له رسول الرحمن ﷺ، وذلك كما وردت به الأحاديث الثابتة الأركان أن رسول الله ﷺ دعا له بأن يعلمه الله التأويل، وأن يفقهه في الدين[١].

كما أخذ العلم عن: عمر، وعلي، ومعاذ، ووالده، وعبد الرحمن بن عوف، وأبي سفيان صخر بن حرب، وأبي ذر، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وخلْق.

وقرأ على: أبي، وزيد[٢].

وكان ابن عباس يقول:

مَا أَكْثَرَ الْعِلْمَ وَمَا أَوْسَعَهْ مَنْ ذَا الَّذِي يَقْدِرُ أَنْ يَجْمَعَهُ
إِنْ كُنْتَ لا بُدَّ لَهُ طَالِباً مُحَاوِلاً فالْتَمِسْ أَنْفَعَه

عن ابن عباس قال: لما قُبض رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار: هلم فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ، فإنهم اليوم كثير، فقال: واعجباً لك! أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ من فيهم؟!.

قال: فترك ذلك وأقبلت أسأل، فإن كان ليبلغني الحديث عن رجل فآتي بابه وهو قائل[٣]، فأتوسد ردائي على بابه تسفي الريح عليَّ من التراب فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عم رسول الله ما جاء بك؟ هلا أرسلت إلي فآتيك.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير، ١٢/ ٨١.
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٣/ ٣٣٢.
(٣) من القيلولة وهي: نوم نصف النهار. تاج العروس، ٣٠/ ٣٠٤.

فأقول: لا أنا أحق أن آتيك، فأسأله عن الحديث، فعاش الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي ليسألوني، فقال: هذا الفتى كان أعقل مني.

وعن عبيد الله بن علي بن أبي رافع: كان ابن عباس يأتي أبا رافع فيقول: ما صنع النبي ﷺ يوم كذا؟ ومع ابن عباس ما يكتب ما يقول[١].

ووجدت عامة علم رسول الله ﷺ عند هذا الحي من الأنصار، إن كنت لآتي الرجل منهم، فيقال: هو نائم؛ فلو شئت أن يُوقظ لي، فأدعه حتى يخرج؛ لأستطيب بذلك قلبه.

إن كنت لأسأل عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ[٢].

وعن أبي سلمة الحضرمي، قال: سمعت ابن عباس يقول: كنت ألزم الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، فأسألهم عن مغازي رسول الله ﷺ، وما نزل من القرآن في ذلك، وكنت لا آتي أحداً منهم إلا سُر بإتياني؛ لقربي من رسول الله ﷺ، فجعلت أسأل أبيَّ بن كعب يوماً ـ وكان من الراسخين في العلم ـ عما نزل من القرآن بالمدينة. فقال: نزل سبع وعشرون سورة وسائرها بمكة.

وعن الشعبي قال: قيل لابن عباس: أنَّى أصبت هذا العلم؟ قال: بلسان سؤول، وقلب عقول[٣].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير، ١٢/ ٨٦، ابن سعد في الطبقات، ٢/ ٣٦٧، والفسوي في التاريخ، ١/ ٥٤٢، وصححه الحاكم، ٣/ ٥٣٨، ووافقه الذهبي وأورده الهيثمي في «المجمع»، ٩/ ٢٧٧، الإصابة في تعيين الصحابة لابن حجر العسقلاني، ٤/ ٢٤٣، البداية والنهاية لابن كثير، ٢١٢/ ٨٦.

(٢) أخرجه ابن سعد، ٢/ ٣٦٨، سير أعلام النبلاء للذهبي، ٣/ ٣٤٤.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير، ١٢/ ٨٧.

تلامذة ابن عباس صاروا أساطين العلم:

لقد أكرم الله ابن عباس بأن هيأ له طلاباً نجباء حملوا عنه العلم، وتضلعوا بما عنده من الفهم؛ فغدوا أعلام الأرض وأئمة الدنيا في ذلك الزمان، وهذه الخصلة من علامات القبول في الأرض ومما ينفع العبد بعد موته.

فقرأ عليه: مجاهد، وسعيد بن جبير، وطائفة.

كما روى عنه: ابنه علي، وابن أخيه عبد الله بن معبد، ومواليه عكرمة، ومقسم، وكريب، وأبو معبد نافذ، وأنس بن مالك، وأبو الطفيل، وأبو أمامة بن سهل، وأخوه كثير بن العباس، وعروة بن الزبير، وعبيد الله بن عبد الله، وطاوس، وأبو الشعثاء جابر، وعلي بن الحسين، وسعيد بن جبير، ومجاهد بن جبر، والقاسم بن محمد؛ وأبو صالح السمان، وأبو رجاء العطاردي، وأبو العالية، وعبيد بن عمير، وابنه عبد الله، وعطاء بن يسار، وإبراهيم بن عبد الله بن معبد، وأربدة التميمي ـ صاحب التفسير ـ، وأبو صالح باذام، وطليق بن قيس الحنفي، وعطاء بن أبي رباح، والشعبي، والحسن، وابن سيرين؛ ومحمد بن كعب القرظي، وشهر بن حوشب، وابن أبي مليكة، وعمرو بن دينار، وعبيد الله بن أبي يزيد، وأبو جمرة نصر بن عمران الضبعي، والضحاك بن مزاحم، وأبو الزبير المكي، وبكر بن عبد الله المزني، وحبيب بن أبي ثابت، وسعيد بن أبي الحسن، وإسماعيل السدي، وخلق سواهم.

وفي (التهذيب) من الرواة عنه: مئتان، سوى ثلاثة أنفس[١].

علم ابن عباس جعله مستشاراً في الخلافة الراشدة:

صدق من قال:

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٣/ ٣٣٢.

العلم يرفع بيتاً لا عماد له والجهل يهدم بيت العز والكرم

قال المهاجرون لعمر: ألا تدعوا أبناءنا كما تدعو ابن عباس؟

قال: ذاكم فتى الكهول له لسان سؤول وقلب عقول[١].

عن الحسن، قال: كان ابن عباس من الإسلام بمنزل، وكان من القرآن بمنزل، وكان يقوم على منبرنا هذا، فيقرأ البقرة وآل عمران، فيفسرهما آية آية، وكان عمر ـ رضي الله عنه ـ إذا ذكره، قال: ذلك فتى الكهول، له لسان سؤول، وقلب عقول[٢].

وعن سعيد بن جبير، قال: كان ناس من المهاجرين قد وجدوا على عمر في إدنائه ابن عباس دونهم. قال: وكان يسأله، فقال عمر: أما إني سأريكم اليوم منه ما تعرفون فضله. فسألهم عن هذه السورة: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ [النصر: ١]، فقال بعضهم: أمر الله نبيه إذا رأى الناس يدخلون في دين الله أفواجاً أن يحمده ويستغفره. فقال عمر: يا ابن عباس، تكلم. فقال: أعلَمَه متى يموت، أي: فهي آيتك من الموت، فسبح بحمد ربك واستغفره[٣].

وفي رواية فقال: لا أعلم منها إلا ما تعلم.

وأراد عمر بذلك أن يقرر عندهم جلالة قدره، وكبير منزلته في العلم والفهم.

---

(١) الإصابة في تعيين الصحابة لابن حجر العسقلاني، ٤/ ١٤٤.

(٢) أخرجه الطبراني، ١٠٦٢٠، وعنه أبو نعيم، ١/ ٣١٨، والبلاذري في الأنساب، ٣/ ٣٧، وأورده الهيثمي في «المجمع»، ٩/ ٢٧٧، ونسبه للطبراني، وقال: وأبو بكر الهذلي ضعيف.

(٣) البلاذري في الأنساب، ٣/ ٣٣، سير أعلام النبلاء للذهبي، ٣/ ٣٤٣.

وسأله مرة عن ليلة القدر، فاستنبط أنها في الليلة السابعة من العشر الأخير، فاستحسنه عمر واستجاده[١].

لله أبوك، لقد كنت أكتمها الناس حتى جئت بها:

وعن ابن عباس، قال: قدم على عمر رجل، فجعل عمر يسأله عن الناس، فقال: يا أمير المؤمنين، قد قرأ القرآن منهم كذا وكذا. فقلت: والله ما أحب أن يسارعوا يومهم هذا في القرآن هذه المسارعة. قال: فزبرني عمر، ثم قال: مه.

فانطلقت إلى منزلي مكتئباً حزيناً، فقلت: قد كنت نزلت من هذا بمنزلة، ولا أراني إلا قد سقطت من نفسه، فاضطجعت على فراشي، حتى عادني نسوة أهلي وما بي وجع، فبينا أنا على ذلك، قيل لي: أجب أمير المؤمنين. فخرجت، فإذا هو قائم على الباب ينتظرني، فأخذ بيدي، ثم خلا بي، فقال: ما الذي كرهت مما قال الرجل آنفاً؟ قلت: يا أمير المؤمنين، إن كنت أسأت، فإني أستغفر الله، وأتوب إليه، وأنزل حيث أحببت. قال: لتخبرنِّي. قلت: متى ما يسارعوا هذه المسارعة يحتقوا ـ أي: يختصموا ـ، ومتى ما يحتقوا يختصموا، ومتى ما اختصموا يختلفوا، ومتى ما يختلفوا يقتتلوا. قال: لله أبوك، لقد كنت أكتمها الناس حتى جئت بها[٢].

فأنت لها ولأمثالها:

عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة: أن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه كان إذا جاءته الأقضية المعضلة، قال لابن عباس:

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير، ١٢/ ٨٨.

(٢) الإصابة في تعيين الصحابة لابن حجر العسقلاني، ٤/ ١٤٤، سير أعلام النبلاء للذهبي، ٣/ ٣٤٩.

إنها قد طرأت علينا أقضية وعضل، فأنت لها ولأمثالها، ثم يأخذ بقوله، وما كان يدعو لذلك سواه إذا كانت العضل، ثم يعمل بقوله[١].

كما كان عمر يستشير ابن عباس في الأمر إذا أهمه، ويقول: غُص غوَّاص[٢].

وعن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال: سمعت أبي يقول: ما رأيت أحداً أحضر فَهْماً، ولا ألبَّ لبَّاً، ولا أكثر علماً، ولا أوسع حلماً من ابن عباس، لقد رأيت عمر يدعوه للمعضلات فيقول: قد جاءت معضلة، ثم لا يجاوز قوله، وإنَّ حوله لأهل بدر[٣].

إذا قال لم يترك مقالاً لقائل:

عن حسان بن ثابت قال: كانت لنا عند عثمان أو غيره من الأمراء حاجة فطلبناها إليه: جماعة من الصحابة منهم ابن عباس ـ وكانت حاجة صعبة شديدة ـ فاعتل علينا فراجعوه إلى أن عذروه، وقاموا إلا ابن عباس فلم يزل يراجعه بكلام جامع حتى سد عليه كل حاجة، فلم يرى بداً من أن يقضي حاجتنا، فخرجنا من عنده وأنا آخذ بيد ابن عباس، فمررنا على أولئك الذين كانوا عذروا وضعفوا، فقلت: كان عبد الله أولاكم به، قالوا: أجل فقلت أمدحه:

إذا قال لم يترك مقالاً لقائل ... بملتقطات لا ترى بينها فصلاً
كفى وشفى ما في الصدور ولم يدع ... لذي إربة في القول جداً ولا هزلاً

---

(١) المنتقى من كتاب الطبقات للجزري الحراني، ١/ ١٥٠.
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٣/ ٣٤٦.
(٣) طبقات ابن سعد، ٢/ ٣٦٩، سير أعلام النبلاء للذهبي، ٣/ ٣٤٦.

سموت إلى العليا بغير مشقة فنلت ذراها لا دنيا ولا وغلاً[١]

ابن عباس في مجلس الفاروق:

عن ابن عباس ﷺ قال: كان عمر بن الخطاب ﷺ إذا دعا الأشياخ من أصحاب محمد ﷺ دعاني معهم، فدعانا ذات يوم أو ذات ليلة فقال: إن رسول الله ﷺ قال في ليلة القدر ما قد علمتم، فالتمسوها في العشر الأواخر، ففي أي الوتر ترونها؟ فقال بعضهم: تاسعه، وقال بعضهم: سابعه وخامسه وثالثه، فقال: ما لك يا ابن عباس لا تتكلم؟ قلت: إن شئت تكلمت، قال: ما دعوتك إلا لتكلم، فقال: أقول برأيي، فقال: عن رأيك أسألك، فقلت: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله تبارك وتعالى أكثر ذكر السبع، فقال: السماوات سبع، والأرضون سبع، وقال:** ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٢٦ ـ ٣١]، **فالحدائق ملتف وكل ملتف حديقة، والأب ما أنبتت الأرض مما لا يأكل الناس**»، فقال عمر ﷺ: أعجزتم أن تقولوا مثل ما قال هذا الغلام الذي لم تستو شؤون رأسه؟ ثم قال: إني كنت نهيتك أن تكلم، فإذا دعوتك معهم فتكلم[٢].

ثناء العلماء عليه:

قال عمر لابن عباس: لقد علمت علماً ما علمناه[٣].

قال ابن عباس: دخلت على عمر بن الخطاب يوماً فسألني عن مسألة

---

(١) الإصابة في تعيين الصحابة لابن حجر العسقلاني، ٤/ ٢٤٣.

(٢) المستدرك، ٣/ ٦٢١ «هذا حديث صحيح الإسناد»، ولم يخرجاه الذهبي.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٣/ ٣٤٥، أخرجه البلاذري في الأنساب، ٣/ ٣٧.

كتب إليه بها يعلى بن أمية من اليمن، فأجبته فيها، فقال عمر: أشهد أنك تنطق عن بيت نبوة[١].

وعن سلمة بن كهيل قال: قال عبد الله: نعم ترجمان القرآن ابن عباس.

وعن عكرمة: أن علياً حرق ناساً ارتدوا عن الإسلام، فبلغ ذلك ابن عباس، فقال:

لم أكن لأحرقهم أنا بالنار، إن رسول الله ﷺ قال: «**لا تعذبوا بعذاب الله**».

وكنتُ قاتلهم، لقوله ﷺ: «**من بدل دينه فاقتلوه**».

فبلغ ذلك علياً، فقال: ويح ابن أم الفضل، إنه لغوَّاص على الهنات[٢].

وعن عمير بن بشر الخثعمي عمن سأل ابن عمر عن شيء، فقال: سل ابن عباس فإنه أعلم من بقي بما أنزل الله على محمد.

وعن عبد الله بن دينار أن رجلاً سأل ابن عمر عن قوله تعالى: ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠] فقال: اذهب إلى ذلك الشيخ فسله ثم تعال فأخبرني. فذهب إلى ابن عباس فسأله فقال: كانت السماوات رتقاء لا تمطر والأرض رتقاء لا تنبت ففتق هذه بالمطر وهذه بالنبات. فرجع الرجل، فأخبر ابن عمر فقال: لقد أوتي ابن عباس علماً صدقاً، هكذا لقد

---

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور، ٤/ ٢٣٨.

(٢) تاريخ الفسوي، ١/ ٥١٦، سير أعلام النبلاء للذهبي، ٣/ ٣٤٦، وأخرجه البخاري، ٦/ ١٠٦ في الجهاد: باب لا يعذب بعذاب الله، البداية والنهاية لابن كثير، ١٢/ ٩١.

كنت أقول ما يعجبني جرأة ابن عباس على تفسير القرآن فالآن قد علمت أنه قد أوتي علماً.

وقال يحيى بن سعيد الأنصاري: لما مات زيد بن ثابت قال أبو هريرة: مات حبر هذه الأمة ولعل الله أن يجعل في ابن عباس خَلَفاً.

وقال طاوس: أدركت خمسين أو سبعين من الصحابة إذا سئلوا عن شيء فخالفوا ابن عباس لا يقومون حتى يقولوا هو كما قلت أو صدقت[١].

وقال ابن أبي نجيح: ما رأيت مثل ابن عباس قط، ولقد مات يوم مات وإنه لحبر هذه الأمة.

وعن الأعمش بهذا السند: خطب ابن عباس وهو على الموسم، فجعل يقرأ ويفسر فجعلت أقول: لو سمعته فارس والروم لأسلمت.

وزاد: قال أبو وائل: قال رجل: إني لأشتهي أن أقبل رأسه ـ يعني من حلاوة كلامه ـ.

وقال الزبير بن بكار: حدثت عن عمرو بن دينار قال: لما مات عبد الله بن العباس قال مات رباني هذه الأمة[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: من استعمل على الموسم؟

قالوا: ابن عباس. قالت: هو أعلم بالسنة[٣].

---

(١) المنتقى من كتاب الطبقات للجزري الحراني، ١/ ١٣٣.

(٢) الإصابة في تعيين الصحابة لابن حجر العسقلاني، ٤/ ١٤٤.

(٣) تاريخ الفسوي، ١/ ٤٩٥، وابن سعد في الطبقات، ٢/ ٣٦٩، المنتقى من كتاب الطبقات للجزري الحراني، ١/ ١٤٠.

وعن مجاهد، يقول: كان ابن عباس إذا فسر الشيء رأيت عليه نوراً[١].

وكان طلحة بن عبيد الله يقول: لقد أعطي ابن عباس فهماً، ولقناً، وعلماً، ما كنت أرى عمر يقدم عليه أحداً.

وعن عبد الله بن مسعود، قال: لو أدرك ابن عباس أسناننا ـ جيلنا ـ، ما عشره منا أحد. وفي رواية: ما عاشره.

وعن الأعمش: حدثونا: أن عبد الله قال: ولنعم ترجمان القرآن ابن عباس.

وعنه عن إبراهيم، قال: قال عبد الله: لو أن هذا الغلام أدرك ما أدركنا، ما تعلقنا معه بشيء.

وعن عكرمة قال: سمعت معاوية يقول لي: مولاك ـ والله ـ أفقه من مات ومن عاش[٢].

وقال طاوس: ما رأيت أورع من ابن عمر، ولا أعلم من ابن عباس[٣].

وعن مجاهد، قال: ما سمعت فتيا أحسن من فتيا ابن عباس، إلا أن يقول قائل: قال رسول الله ﷺ.

وعن طاوس، قال: أدركت نحواً من خمسمئة من الصحابة، إذا ذاكروا ابن عباس، فخالفوه، فلم يزل يقررهم حتى ينتهوا إلى قوله.

---

(١) المنتقى من كتاب الطبقات للجزري الحراني، ١/ ١٤٢.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٣/ ٣٤٧.

(٣) تاريخ الفسوي، ١/ ٤٩٦، وابن سعد في الطبقات، ٢/ ٣٦٦، سير أعلام النبلاء للذهبي، ٣/ ٣٥٠.

قال يزيد بن الأصم: خرج معاوية حاجاً معه ابن عباس، فكان لمعاوية موكب، ولابن عباس موكب ممن يطلب العلم.

وعن أبي وائل، قال: خطبنا ابن عباس، وهو أمير على الموسم، فافتتح سورة النور، فجعل يقرأ، ويفسر، فجعلت أقول:

ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثل هذا، لو سمعته فارس والروم والترك لأسلمت[١].

جمعه العلوم:

عن عبيد الله بن أبي يزيد قال: كان ابن عباس إذا سئل فإن كان في القرآن أخبر به، فإن لم يكن وكان عن رسول الله ﷺ أخبر به، فإن لم يكن وكان عن أبي بكر وعمر أخبر به، فإن لم يكن قال برأيه[٢].

وعن عتبة قال: كان ابن عباس قد فاق الناس بخصال: بعلم ما سبقه، وفقه فيما احتيج إليه من رأيه، وحلم ونسب ونائل، وما رأيت أحداً كان أعلم بما سبقه من حديث النبي ﷺ منه، ولا بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان منه، ولا أفقه في رأي منه، ولا أعلم بشعر ولا عربية، ولا بتفسير القرآن ولا بحساب، ولا بفريضة منه، ولا أعلم بما مضى، ولا أثبت رأياً فيما احتيج إليه منه، ولقد كان يجلس يوماً ما يذكر فيه إلا الفقه، ويوماً التأويل، ويوماً المغازي، ويوماً الشعر، ويوماً أيام العرب، وما رأيت عالماً قط جلس إليه إلا خضع له، وما رأيت سائلاً قط سأله إلا وجد عنده علماً.

قال: وربما حفظت القصيدة من فيه ينشدها ثلاثين بيتاً.

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٣/ ٣٥١، أنساب الأشراف للبلاذري، ٣/ ٣٨، والمستدرك للحاكم، ٣/ ٥٣٧، والحلية لأبي نعيم، ١/ ٣٢٤.

(٢) الإصابة في تعيين الصحابة لابن حجر العسقلاني، ٤/ ١٤٥.

وقال هشام بن عروة، عن أبيه: ما رأيت مثل ابن عباس قط.

وقال عطاء: ما رأيت مجلساً أكرم من مجلس ابن عباس، أكثر فقهاً، ولا أعظم هيبة؛ أصحاب القرآن يسألونه، وأصحاب العربية يسألونه، وأصحاب الشعر عنه يسألونه، فكلهم يصدر في واد واسع.

وقال الواقدي: حدثني بشر بن أبي سليم، عن ابن طاوس، عن أبيه، قال: كان ابن عباس قد بسق على الناس في العلم كما تبسق النخلة.

وعن عمرو بن دينار، قال: ما رأيت مجلساً قط أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس؛ الحلال والحرام وتفسير القرآن، والعربية والشعر، والطعام.

وعن الحسن قال: كان ابن عباس أول من عرف بالبصرة; صعد المنبر فقرأ البقرة، وآل عمران ففسرهما حرفاً حرفاً، وكان مثجاً، قال ابن قتيبة: مثجاً من الثج وهو السيلان، قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا﴾، وقيل: كثيراً بسرعة[1].

بيت ابن عباس جامعة إسلامية:

قال يونس بن بكير: حدثنا أبو حمزة الثمالي، عن أبي صالح، قال: لقد رأيت من ابن عباس مجلساً لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها فخراً، لقد رأيت الناس اجتمعوا حتى ضاق بهم الطريق، فما كان أحد يقدر على أن يجيء ولا يذهب. قال: فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابه. فقال لي: ضع لي وضوءاً.

قال: فتوضأ وجلس، وقال: اخرج فقل لهم: من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أريد منه فليدخل. قال: فخرجت فآذنتهم فدخلوا

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير، ١٢/ ٩٥.

حتى ملؤوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم عنه وزادهم مثل ما سألوا عنه أو أكثر. ثم قال: إخوانكم، فخرجوا. ثم قال: اخرج فقل: من كان يريد أن يسأل عن تفسير القرآن أو تأويله فليدخل. قال: فخرجت، فآذنتهم. قال: فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به، وزادهم مثل ما سألوا أو أكثر.

ثم قال: إخوانكم، فخرجوا.

ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقه فليدخل. فخرجت فقلت لهم، فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله، ثم قال إخوانكم، فخرجوا.

ثم قال: اخرج فقل من أراد أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها فليدخل. قال: فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة. فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله، ثم قال: إخوانكم. فخرجوا.

ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام فليدخل. قال: فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله.

قال أبو صالح: فلو أن قريشاً كلها فخرت بذلك لكان فخراً، فما رأيت مثل هذا لأحد من الناس[1].

قال عبد الله بن أبي الهذيل: أردت الخروج، فعلم بي أهل الكوفة، فجمعوا مسائل، ثم أتوني بها في صحيفة، فلما قدمت على ابن عباس

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير، ١٢/ ١٠٠، مختصر تاريخ دمشق لابن منظور، ٤/ ٢٤١.

خرج، فقعد للناس، فما زال يسألونه حتى ما بقي في صحيفتي شيء إلا سألوه عنه[١].

موعظته للمذنبين:

عن ابن عباس أنه قال: يا صاحب الذنب، لا تأمننّ سوء عاقبته، ولما يتبع الذنب أعظمُ من الذنب إذا عملته، قلَّة حيائك ممن على اليمين وعلى الشمال وأنت على الذنب أعظمُ من الذنب الذي صنعته، وضحكك، وأنت لا تدري ما الله صانعٌ بك، أعظم من الذنب. وفرحك بالذنب إذا عملته أعظم من الذنب، وحزنك على الذنب، إذا فاتك، أعظم من الذنب، إذا ظفرت به، وخوفك من الريح إذا حرَّكتْ سترَ بابك وأنت على الذنب ولا يضطرب فؤادك من نظر الله إليك أعظمُ من الذنب إذا عملته[٢].

لغز ملك الروم ومعاوية:

عن ابن عباس: أن ملك الروم كتب إلى معاوية يسأله عن أحب الكلام إلى الله ﷻ، ومن أكرم العباد على الله ﷻ، ومن أكرم الإماء على الله ﷻ، وعن أربعة فيهم الروح لم يركضوا في رحم، وعن قبر سار بصاحبه، وعن مكان في الأرض لم تطلع عليه الشمس إلا مرة واحدة، وعن قوس قزح ما هو؟ وعن المجرة.

فبعث معاوية فسأل ابن عباس عنهن، فكتب ابن عباس إليه: أما أحب الكلام إلى الله فسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأكرم العباد على الله آدم، خلقه بيده، ونفخ فيه من

---

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور، ٤/ ٢٤٢.

(٢) صفة الصفوة لابن الجوزي، ١/ ١٦٧، تاريخ دمشق لابن عساكر، ١٠/ ٦٠.

روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، وأكرم الإماء على الله مريم بنت عمران، وأما الأربعة الذين لم يركضوا في رحم، فآدم وحواء، وعصا موسى، وكبش إبراهيم الذي فدى به إسماعيل ـ وفي رواية: وناقة صالح ـ وأما القبر الذي سار بصاحبه فهو حوت يونس، وأما المكان الذي لم تصبه الشمس إلا مرة واحدة فهو البحر الذي انفلق لموسى حتى جاز بنو إسرائيل فيه، وأما قوس قزح فأمان لأهل الأرض من الغرق، والمجرة باب السماء، وفي رواية: الذي تنشق منه، فلما قرأ ملك الروم ذلك أعجبه، وقال: والله ما هي من عند معاوية، ولا من قوله، وإنما هي من عند أهل النبي ﷺ[1].

ابن عباس مفزع الصحابة:

قال معاوية يوماً لعبد الله بن عباس: إنه ضربتني البارحة أمواج القرآن في آيتين لم أعرف تأويلهما، ففزعت إليك، فقال ابن عباس: ما هما؟ فقال معاوية: قول الله ﷻ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ فقلت: يونس رسول الله ظن أنه بقوته إذا أراده، ما ظن هذا مؤمن، وقول الله ﷻ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ فقلت: سبحان الله! كيف يكون هذا أن يستيئس الرسل من نصر الله، أو يظنوا أنهم كذبهم ما وعدهم! إن لهاتين الآيتين تأويلاً ما نعلمه.

قال ابن عباس: أما يونس عليه السلام فظن أن خطيئته لم تبلغ أن يقدر الله عليه تلك البلية، ولم يشك أن الله ﷻ إذا أراده قدر عليه.

وأما قوله: حتى إذا استيأس الرسل من إيمان قومهم، وظن من أعطاهم الرضا في العلانية أن يكذبهم في السريرة، وذلك أطول البلاء

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير، ١٢/ ١٠٤.

عليهم، ولم يستيئس الرسل من نصر الله، ولم يظنوا أنهم كذبهم ما وعدهم. فقال معاوية: فرجت عني، فرج الله عنك[١].

روائع من أسلوبه في التعليم:

عن عبد الله بن بريدة قال: شتم رجل ابن عباس فقال: إنك لتشتمني وفيّ ثلاث: إني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأحبه ولعلي لا أقاضي إليه أبداً، وإني لأسمع بالغيث يصيب البلاد من بلدان المسلمين فأفرح به ومالي بها سائمة ولا راعية، وإني لآتي على آية من كتاب الله تعالى فوددت أن المسلمين كلهم يعلمون منها مثل ما أعلم[٢].

وعن محمد بن سلام قال: سعى ساع إلى ابن عباس برجل، فقال: إن شئت نظرنا: فإن كنت كاذباً عاقبناك، وإن كنت صادقاً نفيناك، وإن شئت أقلناك. قال: هذه[٣].

نزل بسنه وعلا بقوله:

وفي كتاب الجليس للمعافى من طريق ابن عائشة عن أبيه: نظر الحطيئة إلى ابن عباس في مجلس عمر وقد فرع بكلامه فقال: من هذا الذي نزل عن القوم بسنه وعلاهم في قوله؟ قالوا: هذا ابن عباس فأنشأ يقول:

إني وجدت بيان المرء نافله ... تهدى له ووجدت العي كالصمم
المرء يبلى ويبقى الكلم سائره ... وقد يلام الفتى يوماً ولم يلم[٤]

---

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور، ٤/ ٢٤٣.
(٢) البداية والنهاية لابن كثير، ١٢/ ١٠٢، الإصابة في تعيين الصحابة لابن حجر العسقلاني، ٤/ ١٤٥.
(٣) الإصابة في تعيين الصحابة لابن حجر العسقلاني، ٤/ ١٤٥.
(٤) الإصابة في تعيين الصحابة لابن حجر العسقلاني، ٤/ ١٤٥.

ما رأيت ابن عباس خالف أحداً فتركه حتى يقرره:

عن طاوس، قال: ما رأيت ابن عباس خالف أحداً فتركه، حتى يقرره، فخالفه جابر بن عبد الله في المرأة تطوف بالبيت طواف الواجب يوم النحر ثم تحيض، قال ابن عباس: تنفر. فأرسلوا إلى امرأة كان أصابها ذلك على عهد رسول الله ﷺ، فوافقت ابن عباس.

وفي عهده أُتيَ عثمانُ بامرأة ولدت في ستة أشهر، فأمر برجمها، فقال ابن عباس: أدنوني منه، فأدنوه، فقال: إنها إن تخاصمك بكتاب الله ﷻ خصمتك، يقول الله ﷻ: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾، ويقول في آية أخرى: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ فقد حملته ستة أشهر، وهي ترضعه لكم حولين كاملين، قال: فردها عثمان وخلى سبيلها[1].

وقد استجاب الله دعوة نبيه فآتاه من الحكمة ما فاق به أساطين الحكماء:

من ذلك أنه لما اعتزل بعض أصحاب علي بن أبي طالب وخذلوه في نزاعه مع معاوية رضي الله عنهما، قال عبد الله بن عباس لعلي رضي الله عنه: إئذن لي يا أمير المؤمنين أن آتي القوم وأكلمهم.

فقال: إني أتخوف عليك منهم، فقال: كلا إن شاء الله.

ثم دخل عليهم فلم ير قوماً أشد اجتهاداً منهم في العبادة، فقالوا: مرحباً بك يا ابن عباس ما جاء بك؟

فقال: جئت أحدثكم. فقال بعضهم: لا تحدثوه. وقال بعضهم: بل نسمع منك.

---

(١) المنتقى من كتاب الطبقات للجزري الحراني، ١/ ١٤١.

فقال: أخبروني ما تنقمون على ابن عم رسول الله ﷺ، وزوج ابنته، وأول من آمن به.

قالوا: ننقم عليه ثلاثة أمور: **أولها**: أنه حكَّم الرجال، **وثانيها**: أنه قاتل عائشة ومعاوية ولم يأخذ غنائم ولا سبايا، **وثالثها**: أنه محا عن نفسه لقب أمير المؤمنين مع أن المسلمين قد بايعوه وأمروه.

فقال: أرأيتم إن أسمعتكم من كتاب الله وحدثتكم من حديث رسول الله ما لا تنكرونه، أفترجعون عما أنتم فيه؟

قالوا: نعم.

قال: أما قولكم أنه حكم الرجال في دين الله، فالله ﷻ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾. أنشدكم الله، أفحكمُ الرجالِ في حقن دمائهم وأنفسهم وصلاح ذات بينهم أحقُّ أم في أرنب ثمنها ربع درهم؟ فقالوا: بل في حقن دماء المسلمين، وصلاح ذات بينهم، فقال: أَخرجنا من هذه؟ قالوا: اللهم نعم.

قال: وأما قولكم إن علياً قاتل ولم يسبِ ـ أي لم يأخذ سبايا ـ كما سبى رسول الله ﷺ، أفكنتم تريدون أن تسبوا أمكم عائشة كما تستحل السبايا؟

فإن قلتم: نعم، كفرتم، وإن قلتم: إنها ليست بأمكم، كفرتم، أيضاً فالله ﷻ يقول: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ فاختاروا لأنفسكم ما شئتم. ثم قال: أخرجنا من هذه؟ قالوا: اللهم نعم.

قال: وأما قولكم إن علياً محا عن نفسه لقب إمرة المؤمنين فإن رسول الله ﷺ حين طلب من المشركين يوم الحديبية أن يكتبوا في الصلح

الذي عقده معهم: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، قالوا: لو كنا نؤمن أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله، فنزل عند طلبهم وهو يقول: «**والله إني لرسول الله وإن كذبتموني فهل خرجنا من هذه؟**» فقالوا: اللهم نعم.

وكان من ثمرة هذا اللقاء وما وفَّق الله فيه عبد الله بن عباس من حكمة وحجة أن عاد منهم عشرون ألفاً إلى صفوف عليٍّ وأصر أربعة آلاف على خصومتهم لعلي[(١)].

وعن عائشة قال: ما زال ابن عباس يستفيد حتى مات، وكان يقول: ما علمت ما ﴿فَاطِرِ﴾ حتى سمعت أعرابياً يخاصم رجلاً في بئر وأحدهما يقول: أنا فطرتها، وكنت لا أدري ما البعل حتى سمعت أعرابياً ينادي آخر، يقول: يا بعل الناقة، فعلمت أنه ربها[(٢)].

محطات حياته باختصار:

تولى ابن عباس رضي الله عنه إمامة الحج سنة خمس وثلاثين بأمر عثمان بن عفان رضي الله عنه له وهو محصور، وفي غيبته هذه قتل عثمان، وحضر مع علي يوم الجمل، وكان على الميسرة يوم صفين، وشهد قتال الخوارج، وتأمَّر على البصرة من جهة علي، فكان إذا خرج منها يستخلف أبا الأسود الدؤلي على الصلاة، وزياد بن أبي سفيان على الخراج، وكان أهل البصرة مغبوطين به، يفقههم ويعلم جاهلهم، ويعظ مجرمهم، ويعطي فقيرهم، فلم

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي، ١/ ٤٩٦، الرياض النضرة في مناقب العشرة للطبري، ١/ ٢٩٢، حلية أبي نعيم، ١/ ١٦٩، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي للعصامي، ١/ ٤٩٨، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للصالحي الشامي، ١١/ ١٢٦.

(٢) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور، ٤/ ٢٤٢.

يزل عليها حتى مات علي، ويقال: إن علياً عزله عنها قبل موته، ثم وفد على معاوية، فأكرمه وقربه واحترمه وعظمه، وكان يلقي عليه المسائل المعضلة فيجيب فيها سريعاً، فكان معاوية يقول: ما رأيت أحداً أحضر جواباً من ابن عباس.

ولما جاء الكتاب بموت الحسن بن علي اتفق كون ابن عباس عند معاوية فعزاه فيه بأحسن تعزية، ورد عليه ابن عباس رداً حسناً، وبعث معاوية ابنه يزيد فجلس بين يدي ابن عباس فعزاه بعبارة فصيحة بليغة وجيزة، شكره عليها ابن عباس.

ولما مات معاوية ورام الحسين بن علي الخروج إلى العراق، نهاه ابن عباس أشد النهي، وأراد ابن عباس أن يتعلق بثياب الحسين؛ لأن ابن عباس كان قد أضر في آخر عمره، فلم يقبل منه، فلما بلغه موته حزن عليه حزناً شديداً ولزم بيته، وكان يقول: يا لسان، قل خيراً تغنم، واسكت عن شر تسلم، فإنك إن لا تفعل تندم[1].

من أقواله وحكمه:

جاء إليه رجل يقال له: جندب، فقال له أوصني: فقال: أوصيك بتوحيد الله، والعمل له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، فإن كل خير أنت آتيه بعد ذلك مقبول، وإلى الله مرفوع، يا جندب، إنك لن تزداد من يومك إلا قرباً، فصلِّ صلاة مودع، وأصبح في الدنيا كأنك غريب مسافر، فإنك من أهل القبور، وابك على ذنبك، وتب من خطيئتك، ولتكن الدنيا عليك أهون من شسع نعلك، وكأن قد فارقتها وصرت إلى عدل الله، ولن تنتفع بما خلفت، ولن ينفعك إلا عملك.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير، ١٠٦/١٢.

وقال بعضهم: أوصى ابن عباس بكلمات خير من الخيل الدهم، قال: لا تكلمن فيما لا يعنيك حتى ترى له موضعاً، ولا تمارين سفيهاً ولا حليماً؛ فإن الحليم يغلبك، والسفيه يزدريك، ولا تذكرن أخاك إذا توارى عنك إلا بمثل الذي تحب أن يتكلم فيك إذا تواريت عنه، واعمل عمل رجل يعلم أنه مجزي بالإحسان مأخوذ بالإجرام.

فقال رجل عنده: يا ابن عباس، هذا خير من عشرة آلاف.

فقال ابن عباس: كلمة منه خير من عشرة آلاف[١].

وقال ابن عباس: تمام المعروف تعجيله، وتصغيره وستره، يعني أن تعجل العطية للمعطى، وأن تصغر في عين المعطي، وأن تسترها عن الناس فلا تظهرها؛ فإن في إظهارها فتح باب الرياء وكسر قلب المعطَى، واستحياءه من الناس.

وقال ابن عباس: أعزُ الناس عَلَيَّ جليسي، لو استطعت أن لا يقع الذباب على وجهه لفعلت.

وقال أيضاً: لا يكافئ من أتاني يطلب حاجة فرآني لها موضعاً إلا الله، ﷻ، وكذا رجل بدأني بالسلام، أو أوسع لي في مجلس، أو قام لي عن المجلس أو رجل سقاني شربة ماء على ظمأ، ورجل حفظني بظهر الغيب[٢].

إصابة عينيه:

وقد أصيبت إحدى عينيه فنحل جسمه، فلما أصيبت الأخرى عاد إليه

---

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور، ٤/ ٢٤٨.

(٢) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور، ٤/ ٢٤٨، البداية والنهاية لابن كثير، ١٢/ ١٠٨.

لحمه فقيل في ذلك، فقال: أصابني ما رأيتم في الأولى شفقة على الأخرى، فلما ذهبتا اطمأن قلبي.

وعن ابن عباس، أنه وقع في عينه الماء، فقيل له: ننزع من عينك الماء، على أنك لا تصلي سبعة أيام؟ فقال: لا، إنه من ترك الصلاة وهو يقدر عليها لقي الله وهو عليه غضبان.

وفي رواية أنه قيل له: نزيل هذا الماء من عينك على أن تبقى خمسة أيام لا تصلي إلا على عود، وفي رواية: إلا مستلقياً، فقال: لا، والله ولا ركعة واحدة، إنه من ترك صلاة واحدة متعمداً، لقي الله وهو عليه غضبان[١].

قال ابن عبد البر في ترجمة ابن عباس: هو القائل ما روي عنه من وجوه:

إن يأخذ الله من عينَيَّ نورهما ففي لساني وقلبي منهما نور
قلبي ذكي، وعقلي غير ذي دخل وفي فمي صارم كالسيف مأثور[٢]

وهناك حديث منكر لا يصح، يرويه أصحاب السير في ذهاب بصره:

وهو أن ابن عباس رأى جبريل عليه السلام، وقال رسول الله ﷺ: **(عسى ألا يموت حتى يؤتى علماً ويذهب بصره)**[٣].

وفاته:

عن مجاهد أن ابن عباس مات بالطائف، فصلى عليه ابن الحنفية، فجاء طائر أبيض فدخل في أكفانه، فما خرج منها. فلما سُوي عليه التراب قال ابن الحنفية: مات والله اليوم حبر هذه الأمة.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير، ١٢/١٠٨.
(٢) الاستيعاب لابن عبد البر، ٢/٣٥٦، سير أعلام النبلاء للذهبي، ٣/٣٥٧.
(٣) البداية والنهاية لابن كثير، ١٢/٨٦.

وعن بجير بن عبد الله قال: لما خرج نعش ابن عباس جاء طائر أبيض عظيم من قبل وجهه حتى خالط أكفانه فلم يدر أين ذهب، فكانوا يرون أنه علمه[١].

وعن سعيد بن جبير قال: مات ابن عباس بالطائف فشهدت جنازته، فجاء طائر أبيض لم ير على خلقته فدخل في نعشه ولم ير خارجاً منه، فلما دفن تليت هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ إلى آخر السورة [الفجر: ٢٧ ـ ٢٨] لا يُدرى من تلاها[٢].

وفي وفاته أقوال: سنة خمس وستين، وقيل: سبع، وقيل ثمان، وهو الصحيح في قول الجمهور[٣].

وقال محمد بن عمرو بن حزم: لما مات ابن عباس، قال رافع بن خديج: مات اليوم من كان يحتاج إليه من بين المشرق والمغرب في العلم.

قال الواقدي: وحدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة، عن عمرو بن أبي عمرو، عن عكرمة قال: سمعت معاوية يقول: مولاك والله أفقه من مات ومن عاش[٤].

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٣/ ٣٥٨، الإصابة في تعيين الصحابة لابن حجر العسقلاني، ٤/ ١٤٥، البداية والنهاية لابن كثير، ١٢/ ١٠٩.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٣/ ٣٥٨، أورده في «المجمع» ٩/ ٢٨٥، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، وهو في المستدرك للحاكم، ٣/ ٥٤٣، ٥٤٤، حلية الأولياء لأبي نعيم، ١/ ٣٢٩.

(٣) الإصابة في تعيين الصحابة لابن حجر العسقلاني، ٤/ ١٤٥.

(٤) البداية والنهاية لابن كثير، ١٢/ ٩٣.